

التماهي بين الروحي والفني في تجلي الحقيقة

The identification between the spiritual and the artistic in the manifestation of truth

عاشور توامة

المدرسة العليا للأساتذة: الفريق أحمد قايد صالح- بوسعادة، (الجزائر)

touama.achour@ens.bousaada.dz

النشر: 2024/12/31

القبول: 2024/12/04

الاستلام: 2023/12/15

ملخص:

تشكل علاقة التصوف بالفن علاقة بنوية، بحيث يقومان على الحدس والمخيال والذوق، والتماهي بين الذات والموضوع؛ فضلا عن التجربة الفردانية لكلهما، والتي هي راسخة الوجود في عالم الوجدان والروح معا، فمن خلالهما يتم التحرر من المدركات الحسية والمادية؛ فتسمو الروح وتثار ملكات التطهر والصفاء والنقاء لتستشعر الفن والجمال في الحياة.

فالتجربة الفردانية للفنون في الحقيقة هي تجربة تخترق الزمن باتجاه المطلق لاسيما عند الفنانين، ولذلك تجد أثناء تأمل لوحاتهما الفنية في نطاقها السوسيو سميولوجي ما يغنيك عن فك رموزها وقراءة أبعادها الفنية التي تتواشج مع الزعة الصوفية التي تعكس أعماق الروح الإنسانية أو الفن الخالص والهادف.

ولعل السؤال في التقصي عن التجريبتين الروحية والفنية عند المتصوفة هو البحث عن التجربة الفردانية بصورة خاصة؛ حيث تبرز إشكاليتين من خلال: تحديد الروحي، من جهة والفني من جهة ثانية، وإن كانا يبتغيان ما هو أبعد من التصوف أو الفنون، إذ أنهما مظهران من مظاهر اختراق الزمن وتقصي المطلق في تجلي الحقيقة.

الكلمات المفتاحية: التماهي، الروح، التصوف، الفن، الحقيقة

Abstract:

The relationship between Sufism and art constitutes a structural relationship, as they are based on intuition, imagination, taste, and identification between subject and object, as well as the individual experience of both, which is firmly established in the world of conscience and spirit together. Through them, liberation from sensory and material perceptions is achieved, so the spirit is elevated and the faculties of purification, serenity, and purity are stimulated. To feel the art and beauty in life.

The individual experience of the arts is in fact an experience that transcends time towards the absolute, especially among artists. Therefore, while contemplating their artistic paintings, you find in their socio-semiological scope what saves you from decoding them and reading their artistic dimensions that are compatible with the Sufi tendency that reflects the depths of the human soul, or pure and purposeful art.

Perhaps the question in investigating the spiritual and artistic experiences among Sufis is to search for the individual experience in particular, as two problems arise through: defining the spiritual, on the one hand, and the artistic, on the other hand, even if they go beyond Sufism or the arts, as they are two manifestations of the penetration of Time and the investigation of the absolute in the manifestation of truth.

Keywords: identification - spirit - mysticism - art - truth

1. مقدمة:

لشبهه الحقيقي والأسى، فحياته مثال صارخ للفضيلة والروحانية.

أما عن الفكر الجمالي الحديث فإنه لم يبتعد عن تلك الرؤى الفلسفية القديمة والتصورات النظرية السبّاقة، إذ أكد هيجل أن أسى درجات الجمال حين يتم تحقّق المضمون الروحاني الباطني، وبهذه الرؤية للجمال يلتقي هيجل مع الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون الذي ارتأى أن جوهر الجمال لا يدرك إلا عن طريق الحدس، إذ هو ينبع من القلب لا من العقل.

وإذا ما عدنا إلى نظرية الجمال عند شيخ المتصوفة الأكبر أبي حامد الغزالي؛ فإننا نستشف أنه حينما تتغلّب البصيرة الباطنة على الحواس الظاهرة يكون الإنسان أشد إدراكا للجمال ومعانيه الباطنية، أما عن الحواس فإن إدراكها شكلي ظاهري. (الكناني 2021 ،

ينتج ممّا سبق ذكره: أنّ التصوف عموما لا يمكن اختصاره في تجارب دينية محضة فحسب؛ بل هو متن موازي وإشعاع روحاني يغرف من الخطاب الديني، وينحدر من الخطاب الفلسفي، ويتشكل من الخطاب الأدبي، ويتلوّن بروح الفن، فهو متن قابل لعمليات تصنيف في البناء والرؤية والمنهج والموقف والذوق وغيرها، فالتصوف إذن مستلحق بسلوكيات وممارسات وطقوس وتجارب وفنون، ويستمد عطاءه وشرعيته من نزاهة وأمانة التابع وثقة المريد؛ وما يصدر عنه كعالم أو مؤلف أو فنان.

وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ الفنان المتصوف يؤنس الفن؛ ويجعله في متناول أهل الذوق وعشاق الجمال في كل زمان ومكان، ولكن

إن فلسفة التصوف ليست بالهيجنة في الثقافة القديمة، إذ إنّ الجمال عند الفلاسفة اليونان والرومان ظل مجالا خصبا لتأملاتهم الفلسفية، التي شرعت أبواب الجدل حول القاسم المشترك في مضمون الجمال، فسقراط يرى الجمال شرطا في بلوغ الغاية لأجل إعلاء قيم الخير والحق والأخلاق، دون الانصياع للذة حسية لا تمتلك شروط البقاء بعد ارتياد قمة الإثارة، وأفلاطون يعتقد أنّ اللذة الجمالية تستثار من تذوق جمال الشكل المُعَبَّر عن المثل العليا، هذا الشكل لا تشوبه النواقص ولا يتأثر بالمتغيرات، وهو لا يعني جمال تصوير الكائنات الحية، بل جمال يشترط التجانس الرياضي، في خطوط مستقيمة ودوائر وزوايا ومسطحات، طبقا لأحجام تحددها الأدوات الهندسية، بينما يقف أرسطو عند حدود عالم الحواس، فهو يؤمن بأنّ الجمال ليس له عالم خارج الحواس، فالجمال نستشعره ونتملمسه ونذوقه من حولنا في كل مكان وزمان، لذلك فإن أرسطو يدعو إلى محاكاته وتقليده بانتقاء ألوان لها القدرة على التناسق والانسجام.

غير أنّ أفلوطين قد ذهب إلى أبعد من ذلك حين يُجَرِّد الجمال من أي مضمون دنيوي، إذ يرى الجمال تأمل صوفي، باعتباره حقيقة إلهية عُليا، له سمات وكشوفات نورانية لا يتّصف بها إلا الإله؛ حيث هو الخير المطلق الذي يبعث الجمال بطبيعته النورانية التي تدركها الروح دون سواها، أما الحواس فلا تدرك سوى ظلال وإيماءات الجمال، لذلك يعتقد أفلوطين أن كل عنصر دنيوي انعكاس لصورة فقيرة أو زائفة

ما دامت تجعل الذوق الفردي حاكما وقيما على المسميات وأسمائها

ولذلك تجد تعريف الذوق عند القيصري هو: «ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف، لا البرهان والكسب، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد» (ابن عربي، 1971، صفحة 408)،

وعند محيي الدين بن عربي: «اعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة مع كونها ترجع إلى عين واحدة...» (ابن عربي، 2016، صفحة 107)

3. جدلية الفن والتصوف في الإسلام:

الجمال في الإسلام أصل أصيل، سواء من حيث هو قيمة دينية أو من حيث هو مفهوم كوني، أو تجربة وجدانية إنسانية سواء أكانت فردية أم جماعية، ولذلك كان تفاعل وانفعال الإنسان المسلم مع قيم الجمال فسيحا وممتدا من مجال العبادة إلى مجال العادة، ومن التدبر في كتاب الله المسطور إلى التأمل في كونه المنظور، وهو ما خلّد لنا روائع من الأدب والفن التي أنتجها وجدان المسلم في قراءاته السامية للكونين، ومعرجه النافذ إلى أقطار العالمين؛ عالم الغيب وعالم الشهادة.

فالجمال الإسلامي نابع من حقيقة الإيمان، حيث يتشكل الوجدان الإنساني فيها ممّا تلقاه من أنوار الخالق سبحانه وتعالى، ومما حلّ وتماهى فيه بعد ذلك، مُضيا إلى الله عبر أشواق مدارج الروح، مبدعا بإتباع تعاليم نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم- أروع ألوان التعبير الفني والجمالي، من كل صنوف العبادات والمعاملات

ماذا تبقى من التصوف في عصرنا هذا؟ وماذا تفعل الصوفية في فن اليوم؟ (داغر، 2018)

2. الذوق أداة المعرفة والعرفان عند المتصوفة:

لا شك أنّ حياة المتصوفة قامت على الذوق، والذوق أساس التفوق في الفنون، فالمتصوف الحق هو رجل ذواقا يلتبس المعاني في جميع ما ينظر وما يقرأ وما يسمع، ومن هنا كان المتصوف أعرف الناس بالشعر الجيد ولا سيما أشعار التشبيب؛ لأنّ شعراء الغزل عُرفوا بركة الحسّ، ودقة الذوق، وغلب عليهم الفهم للغرائز والطباع، وبراعة الصوفية في التذوق هي التي رفعت من وجوههم الحوائل، وهم يعاقرون المعاني التي اخترعها شعراء الحواس (مبارك، 2014)

والذوق هو وسيلة المعرفة ولا يمكن اقتصار التصوف على فئة من العباد فحسب؛ أو نعتة على إنسان يمشي في ضوء الشمس وهو مغمض العينين، فلا يستفيد من ضوءها، أو كمن يحاول أن يبصر في الظلام فلا يستفيد من عينيه، وبذلك اختلفت مسالك ورؤى المتصوفة في استقاء مصادر المعرفة فكل يغرف من بحر تجربته وعمق واقعه.

ومن هذا المنطلق يرى الشيخ عبد الرحمن الوكيل أنّ الذوق عند الصوفية ذوقٌ فرديّ وهو وحده سبيل المعرفة، حيث إنّ الذوق يقوم على حقائق الأشياء ويحكم عليها بالخبرة أو السّريّة، بالحسن والقبح بأنها حق أو باطل، فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة، ولا عجب أن ترى النّحلة منها تخضع لصنم يكفر به سواها من النّحل الصوفية، لا عجب في ذلك كله

الإيمان ويقوّيه، ويجعله وسيلة للسعادة والخير المطلق. (الكيلاني، 2007)

هناك من يعتقد أنّ الدين وحده من يتقصى الحقيقة، وأنّ الفنّ يبحث عن الجمال، وهذه الرأي بحاجة إلى إعادة نظر وصياغة جديدة، ولعل لدى الأديب نجيب الكيلاني ما يبرر تلك الصياغة الجديدة حيث يقول: «أليس في الحقيقة التي يقصدها الدين جمال من نوع خاص؟ ألم نقل: إنّ الجمال ليس مجرد صورة حسية أو انفعالية، وإنّ الأمر مركّب، وليس على هذا النحو من التبسيط والسهولة؟ ثمّ ألا يبحث الفنّ أيضا في إبراز الحقيقة؟». (الكيلاني، 2007)

لا ريب أنّنا نتفق مع الكيلاني حين يقرّ بأنّ: «إنّ ألوان الآداب المختلفة قد تبلور حقيقة نفسية، أو تجسّد واقعا اجتماعيا، أو تبرز قيمة من القيم العليا في إطار معيّن، وهكذا نرى أنّ الآداب تقدم لنا ألوانا من الحقيقة في ثوب أخاذ، أو في شكل جميل، إلّا أنّ تغليف الحقيقة بما يجعلها جميلة ومؤثرة لا ينفي عنها كونها حقيقة، وهذا الشكل الجميل الذي تُزفّ فيه الحقيقة يختلف تماما عن الحقيقة العارية المجردة التي تنتج عن البحوث العلمية البحتة، أو الفلسفية التقليدية». (الكيلاني، 2007)

لذلك فإنّ اقتصار فنّ التصوف على دور البحث عن الجمال وحده، اقضاء لوظيفة حيوية، تحيل على نقل الفنون إلى متاهات العبثية والانفلات، ومهما كان الجمال معشوقا لذاته، فإنّ أثره سيكون أجدى إذا ما ارتبطت أسبابه بتجلي الحقيقة وإشراقها، وإذا كانت الحقيقة قد طالها الزيف أحيانا تحت التصورات الفلسفية، فإنّ القرآن العظيم قد ألزمننا حجة

والعلاقات، انطلاقا من حركاته التعبدية في جمالية المناجاة والصلوات، ولوحاتها الحيّة الراقية وما ينظمها من عمران روحي ومادي، إلى هندسة المدائن الإسلامية بما تحمله من قيم روحية سامية، وقيم حضارية متفردة إلى سائر الأنشطة الإنسانية؛ التي أبدعها المسلمون في صلّتهم برّبهم وعلاقتهم بأنفسهم وغيرهم، إلى فضاء علاقتهم بالأشياء المحيطة بهم، بدءا بالمسخرات من الممتلكات والحيوانات، إلى العالم الكوني الفسيح؛ الممتدّ من عالم الشهادة حولهم إلى عالم الغيب فوقهم، والذي تفاعل معه المسلم فأنّج أروع الأدوات التعبيرية والرمزية، ممّا لا تزال تبارحه المشوقة بالمحبة، من الترتيل إلى التشكيل تفيض على العالم كله بالجمال الأخذ والجلال الأسر.

إنّ الجمال ليس تشكلا ماديا فحسب؛ بقدر ما هو حقيقة مركبة في مداخلها وعناصرها وتأثيراتها المادية والروحية، وموجاتها المتجلية والخفية وفي انعكاساته على الكائن الحي، لأنّ أثره يخالط شغف الروح ويتماها مع ميول النفس السّوية ويتملّك بصيرة العقل، فتنتقل ردود أفعاله المائزة، بعضها يبدو جليا، وبعضها يتأهب خفيا، بيد أن ذلك كلّ ما يحقق للإنسان سعادته وامتعته ومنفعته.

يستشف مما سبق ذكره؛ أنّ الجمال لا يرتبط بالمظاهر الحسية فحسب، لأنّ الاستمتاع بالجمال تجلّ بالروح وارتقاء بالذوق، وسموّ النفس وتطهر وخلص من التردّي والسقوط، والجمال سبب من أسباب الإيمان الراسخ، وخاصية من خصائصه الضرورية، وهو قيم جمالية فنية تحمل على جناحها ما يعمق هذا

كالنقوش والرسوم، أما تلك المخلوقات التي يبدعونها فهي كائنات عجيبة يجمع بينها كلمة الفن. (إبراهيم، 1979، صفحة 29)

كما أن عبد الرحمن بدوي قد أشار إلى ملكة خاصة لدى المتصوفة تمكنهم من ممارسة التجربة الصوفية تتوسل للاتحاد بالإله، بينما يرى كارل يونغ أن الفنان ليس مخلوقاً عادياً يبدع أعماله عن قصد وتفكير وروية، بل هو مجرد أداة في يد قوة عليا، (إبراهيم، 1979)

نستشف من خلال منظور يونغ أن مفهومه للفنان من حيث مستوى البنية قد ارتبط بروح قدرية، تعدّ هي الأخرى ملمحاً من ملامح التشابه بين الفن والتصوف، فالعمل الفني يصنع الفنان وليس العكس، (إبراهيم، 1979)

ولعل الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون كان قد وصل بمفهوم الفن إلى ذروة الصوفية، فالفن في فلسفته عيّن ميتافيزيقية، والفنان المتصوف باستطاعته النفاذ إلى جوهر الأشياء وباطن الحياة، فعين الفنان تملك مقدرة صوفية هائلة في التماهي مع موضوعها. (إبراهيم، 1979)

لذلك فإن الفن عند برغسون حدس يستولي على الذات العارفة فيجعلها تتطابق وتتماهى مع موضوع معرفتها على نحو شبه صوفي، أما الفيلسوف شوبنهاور فإنه يرى - كذلك - أن الأمر قد يصل إلى نوع من الاتحاد والتماهي بين المتصوف والفنان، كون الفنان هو الذات العارفة الخالصة المتحررة من الإرادة وأسر الجسد ووثن عبودية الأهواء، فهو لا يعيش إلا بوصفه مرآة عاكسة لموضوعه، وذلك لما فقد ذاته واستحال ذاتاً عارفة خالصة، فالفن

الحقائق الكبرى في الدنيا والآخرة، ومنح للمؤمن قناعة مطلقة لا تتزعزع ولا تخفت، كي يبقى الباب مفتوحاً على مصرعيه للكدر والمغامرة والتجربة لأجل الوصول إلى حقائق جديدة، وإن كانت صور الجمال لا تحصى ولا تعد، وأفاق الحقائق المختلفة لا تحدّها حدود.

وارتباط المنفعة لا تتنافى مع القيم الجمالية الفنية الأصيلة والمعاصرة، وهذا راجع إلى قدرة الفنان وبراعته في الأداء، إذا ما هدف إلى إعلاء المثل العليا لتحقيق القيم الإنسانية النبيلة التي تجلب السعادة للفرد وللمجتمع، وتهب الحياة بكل قوة وفاعلية، وتمدّها بأسباب النجاح، وترسخ قيم الفضيلة والحق والخير، فالإسلام يعلي من شأن القيم الجمالية، ويحيطها بسياج من العفة والنقاء والطهارة، ويفتح الباب واسعاً أمام الإبداع الفني الخلاق. (الكيلاني، 2007)

4. مساءلة المنهج في فن التصوف :

لا شك أن التصوف والفن ينبثقان من مشكاة واحدة ألا وهي مشكاة عالم الوجدان ولعل البحث في العلاقة بينهما من المباحث التي تقف على تخوم العلم، ومقاربة المنهج في كليهما فالتصوف والفن، ظاهرتان بحاجة إلى منهج علمي يستجلي قيمهما وأثرهما على الفرد والمجتمع؛ باعتبار أنهما تجربة شخصية فردانية تتأسس على الذوق، والفن من خلال نسقه الصوفي يعدّ فرعاً من فروع البحث الفلسفي، والعلاقة بين التصوف والفن علاقة متماهية ومركبة وراسخة وبقوة في عالم الروح والوجدان، ولذلك يعتقد إبراهيم زكريا أن الفن يشكل قوة روحية خلاقية، توجد من العدم مخلوقات لا مادية كالموسيقى والشعر والموجودات المثرية

يعدُّ عنده أداة للمعرفة والعرفان (إبراهيم، 1979).

5. تماهي الذات المتصوفة مع موضوع الفن:

لعل من أبرز صور التماهي والاتحاد بين الذات المتصوفة وموضوعها لدى الفنان المتصوف ومريديه هو التوجه نحو الأثر الفني الخالص؛ ليلبغ منه غاياته ورغباته الإنسانية كإنسان منجذب إلى محرابه الجمالي، وكأنه يتأهب إلى ما يشبه الصلاة عند المتأمل والمتدبر، لذلك فإنَّ الإنسان العاشق يستوقف الآثار الفنية ومعالم الطبيعة ويستنطقها مُلبيا حاجاته الجمالية، التي هي شبيهة بالتحليق في عوالم طقوس الصلاة والعبادة، ولعلَّ من أبرز هذه البواعث والدوافع وأهمها ما يمكن استجلاءه في النقاط الآتية:

1-5/ الحاجة إلى معايشة الفنون:

وذلك بهدف جعل حياته تنبض بالجمال والنبيل والصفاء، لأنَّ مقصد المتصوف نحو الفنَّ هو في الحقيقة ملاذ إلى معنى المعنى، إذ عندما تعصف به الهموم، وتحاصره معضلات الحياة من كل حذب وصوب؛ وتطبق عليه روحه من رتابة صدأة الوجود لا يجد منفذا يأوي إليه عدا الفنون، لأنَّها تعرج به عبر مدارج علياء الروح نحو عوالم الكمال والخلود.

2-5/ الفن يجسّر لعلاقات جديدة:

وذلك من خلال انتقاء موضوعات التواصل الاجتماعي المحلي والدولي، عبر الرحلات والأسفار إلى بقاع العالم المختلفة، حيث يتسنى للفنان المتصوف اكتشاف سبل ومسالك جديدة في علاقاته الإنسانية، تكون بعيدة عن الرتابة

3-5/ الفن أداة التطهير النفسي:

وهو شعور ينتاب المتصوف ما يشبه حالة التطهير النفسي التي نادى بها الفيلسوف أرسطو في المسرح اليوناني منذ زمن بعيد، لذلك يلجأ إلى أشكال الفنون لإرواء ضمئه متوسلا بتلك المشاعر المتوقدة والأحاسيس النبيلة.

4-5/ الفن بوصلة الروح:

وهو شعور يحتاج المتصوف فيلجأ إلى الفنَّ كبوصلة اهتداء إلى كنوز عاطفية؛ ترنو إلى صفاء الجوهر وخصائص السمو وصفات العظمة والزروع نحو الفضيلة والكمال، وهي ما يجعلها مشاعة في وجدانه كلما تماهت روحه مع لُحمة وجوده.

5-5/ الرغبة في رؤية الفنَّ الجميل:

وهي رغبة جامحة خلال فترات القلق وحالات الضعف والاضطراب، تكون الفنون السبيل الوحيد القادر على إمداد المتصوف يد العون وقلب الشجاعة، لرؤية الجمال المتخفي تحت ركام الخذلان النفسي والهوان العاطفي، فالفنون هي التي تسعف النفس في الصراع الذي تخوضه مع خصومها، والأزمات التي تكادها مع أشرارها.

نخلص في الأخير إلى أنَّ هذه الدوافع والبواعث الفنية الشبيهة في طقوسها بطقوس الصلاة هي التي يُتوسَّل بها المتصوف في الحفر داخل كهوف الإنسان العميقة، أو التحليق بها إلى عنان السماء بوصفها أجنحة كأجنحة البراق،

تخرج في مجاهل الكون وعوالم الإنسان بوصفه قلبا يعكس نظام العالم). الحافظ (2018) ،

6. تجلي حقيقة الفنون ودورها في الإشباع الروحي:

لعل من أهم شروط مشاهدة المحبوب عند الصوفي هو أن يظهر بوجه طلق ناعم خليق بالابتهاج والسعادة؛ مشعا بطلعة من له كل الهاء، سبحانه عزّ وجلّ تيمنا واقتداء بالجمال الموعود في قوله تعالى يوم القيامة: ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (23)﴾ (الكريم، 22) وحتى في حالة خفوت عينه عن تلك المشاهدة النورانية؛ يعود الصوفي إلى معاقرة سكرة الفنّ ومؤانسة اللذة واستشعار الجمال في بديع خلقه سبحانه وتعالى، وضمن هذا المساق يقول الجنيد: «ومن هنا -أي في حالة الفقد- عرجت نفوس العارفين إلى الأماكن النضرة والمناظر الأنيقة والرياض الخضرة (...) وكل ما سوى ذلك عذاب علمهم، ممّا تحنّ إليه من أمرها الأول الذي تشمله الغيوب ويستأثر به المحجوب». (محمد ع.، 1994، صفحة 120)

وجمال الخالق سبحانه عزّ وجلّ قد تدلّ عليه عناصر الطبيعة ومرائي الكون ودلائل إعجازه وخصائص خلقه ودقائق بديعه، كما نجدها في بعض أحاديث وأشعار وفنون الصّوفية ومناجاتهم، وهذا دليل ساطع أنّ وجوه الصّوفية ناضرة مشرقة وليست بالوجوه الكالحة الباسرة كما يعتقد البعض، بل إنّها وجوه تحظى بشرف الظفر بالكشوفات الإلهية والتجليات الجمالية إلى حدّ الاستشهاد، ولعل هذا الاستشهاد ما نستلهمه من حماسة وحمية وجدانية قامر هذا العشق الإلهي الحلاج .

لا ضير أن يتخذ المتصوف من الفنون ملاذا لإرواء عطشه الجمالي، ولكن ليست الفنون وحدها ما يشبع حاجاته الجمالية فحسب؛ بل هناك معالم الطبيعة وتُخَفِّها؛ التي تنحدر وإياه من منبع جمالي واحد، لذلك قد تجد المتصوف يتحرى مشهد شروق الشمس أو غروبها في أمكنة متباينة؛ فضلا عن فراره من التلوث والصخب والضجيج، باحثا عن الهدوء والسكون والتأمل، وغالبًا ما يلج عليه شعور قوي يشدّ الرجال، وضرورة العيش في مناخات أخرى ملونة بشق ألوان الحياة والحفلات والمعارض والمكتبات والندوات والأسفار وغيرها، ومراده من هذا كله أنّ حاجته الجمالية الفنّية متأهبة للشطحات على إيقاعات روحية، ومتطلبات هواجس نفسية واختراقات زمنية مشروطة ومرتبطة بها.

7. الحرف ممارسة فنية لدى المتصوفة:

لعل من أبرز الحرف والفنون التي ارتداها المتصوفة والتي تجسد قَمّة الجمال في ممارستها، والروعة الفنّية في إنتاجها، ما يلي: (محمد ع.، التصوف: الثورة الروحية في الإسلام، 1994، صفحة 120)

1-7/ البُسط :

وهي بُسط ملونة ذات أشكال هندسية تمتاز بموضوعاتها الزخرفية والألوان والصبغات، والأشكال الهندسية المتشابكة والزخارف النباتية، وبُسط ملونة مزدانة بالكتابة تمتاز بالكتابات الكوفية التي تنسق بطريقة زخرفية على هيئة أشربة.

2-7/ التذهيب :

ويقصد منه زخرفة المخطوطات باستخدام المداد الذهبي منفردا أو مع غيره من الألوان،

7-6/ الخزف :

يطلق على ما يصنع من الأواني وغيرها من الطين، ثم يشوى في النار فيصير خزفاً، وهو نوعان: الخزف ذو الزخارف المحفورة البارزة، والخزف ذو البريق المعدني الذي يتميز بصناعته وطلائه وزخرفته، والنوعان معا يتميزان بالرسوم والزخارف ذات الدقة والمهارة الفائقة الدالة على التجريد والتبسيط والانفتاح على اللاهائي، كما يشملان كل أنواع الأواني من فناجين وأقداح وأباريق وصحون وكؤوس وقوارير وقدرور ومسارج وشمعدانات ومزهريات.

7-7/ الزخرفة :

يعني تطريز الأشياء وتطعيمها وتحسينها وتوشيتها، وقد انصبت في أول الأمر على المصحف فزخرفت غلافه، ثم تطورت بعد ذلك أساليبها فصارت تشمل الترتيب والتذهيب والتلوين والتخريم في أغلفة الكتب وفي السجاد، وفي أبواب المساجد والمباني المصنوعة من الخشب المصحف بالنحاس.

8-7 / التوريق :

ويعرف بـ الأرابيسك، ويعني استخدام الأوراق النباتية في زخرفة أعمال النحت على الرخام والمرمر والحجر والخشب، أو في الرسوم الحائطية أو في تذهيب الكتب وجلودها أو في الرسوم على الورق وغيرها.

8. خاتمة:

نخلص في الأخير؛ أنه غير خليك بالإنسان المعاصر في فهم الفنون في العالم الإسلامي من أدب وإنشاد وسماع صوفي وموسيقى وخط ورسم وزخرفة ومنمنمات ونحت وتشكيل وغيرها، دون

وهو مرتبط بالخط وتطور أساليبه تطوراً يهدف إلى تجميله وتستعمل في التذهيب التشكيلات الهندسية؛ أو التكوينات الزخرفية والتفريغات الوردية والزهرية والمراوح النخيلة.

7-3/ التكسية :

وتطلق -كذلك- على تكسية المحارب في المساجد بالرخام المحلي بالنقوش الذهبية، وقد تستعمل الأحجار الملونة من الداخل أو الخارج في تكسية أسطح القباب والمآذن وغيرها.

7-4/ التكفيت :

ويكون بالحفر في المعدن، ثم ملء الفراغ في بالذهب والفضة، وقد تستخدم في تزيين الصواني المعدنية والأباريق والشمعدانات والصناديق والمحابر بالأشرطة الذهبية والفضية وبالزخارف والكتابات.

7-5/ النحفة :

عملية متداخلة تجمع بين الحفر والنحت، يعتمد فيها الصانع الفنان على أدوات خاصة، فإذا كان همه إزالة أكبر قدر من الأرضية حول الشكل سعى النحت نحتاً بارزاً، لأنه يبرز الصورة أو الشكل الأرضية ليعالجه بالتذهيب أو التلوين، وإذا كان همه أن يحفر الشكل على الأرضية الملساء من خشب أو صخر أو معدن أو رخام سعى النحت غائراً، لأنه يبرز الشكل محفوراً غائراً على الأرضية، وقد تكون الأشكال المنحفرة حشوات للأبواب والشبابيك والمنابر والمحارب والصناديق؛ وتأتي في وحدات هندسية أو زخارف نباتية أو حيوانية محورة تحويراً هندسياً، وغالباً ما تكون الحشوات مطعمة بالعاج أو الفضة أو الذهب أو الصدف، ويتجلى هذا في الأبواب والنوافذ والكراسي والصناديق والمقاعد.

- 6- محيي الدين بن عربي، مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم ج2، شرح داود بن محمود بن محمد القيصري ضبط وتصحيح عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.
- 7- محيي الدين بن عربي، فصوص الحكم، شرح الشيخ عبد الرازق القاشاني مكتبة الفكر الجديد، دار آفاق للنشر والتوزيع القاهرة مصر ط1، 2016م.
- 8- نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، قطر: سلسلة كتاب الأمة، 2007م
- 9- محمد حسن عبد الحافظ، الرؤية الصوفية لجماليات
<https://www.ahewar.org>
- 10- عفيفي محمد، التصوف: الثورة الروحية في الإسلام. بيروت: دار صادر، ط1، 1994م.
- التعمق في فهم الروح الجمالية لشخصية المتصوف، حيث يشكل تجسيد هذه الروح عبر مختلف الأجناس الفنية تيمة مفادها تجاوز الصورة النمطية التي اقتصرت بها الرؤية الجمالية للفنون عند البعض في نطاق العبادات، والتمسك بالسائد من القواعد المنغلقة فحسب، بل هي رؤية جمالية منفتحة ومتفردة تسمو إلى آفاق روحية رحبة، تجعل من الفنان المتصوف عاشقا لعالم الجمال والوجود، فلا يعود الجمال عنده مجرد لذة عابرة تتوقف عند المشاهدة أو السماع وتزول بزوال موضوعها؛ بل صار الجمال صفة ثابتة للطبيعة ككل ومراثي الكون برمته والوجود بأسره، وهو منظور يهدف إلى التسامح والانفتاح ويعكس روحا سامية من الصفاء والرضا، هذه الروح الزكية التي ننشدها دوما ونعول عليها في حماية الفرد والمجتمع من ضيم النفس وخطر التطرف وعى الانغلاق وسدف الجهل.

9. المراجع:

- 1- القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع.
- 2- عبدالرحمن جعفر الكناني رؤى التصوف في جماليات الفنون <https://middle-east-online.com>
- 3- زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، أثر التصوف في الفنون <https://www.hindawi.or>
- 4- شربل داغر، بين التصوف والفن والأدب. <https://www.charbeldagher.com>
- 5- عبد الرحمن الوكيل، هذه هي الصوفية دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط3، 1979م.